مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – مجلة علمية محكمة- العدد العشرون (الجزء الأول)

الأجوبة عن ما ظاهره التعارض في خضاب النبي (ﷺ)

د/ هناء حمـــد ضاري الطالب(*)

ملخص البحث:

تحاول هذه الدراسة بيان مسالك الأئمة في دفع الإشكال بين الروايات الحديثية الواردة في خضاب النبي ــ ﷺ ، والخضاب هو صبغ وتلوين الشعر بالحمرة، وعادة يفعله من كان الشيب في شعره كثيراً، هدفت الدراسة إلي بيان معنى الخضاب الذي ورد في أحاديث النبي ــ ﷺ، ومناقشة مسلك الأئمة في دفع الإشكال بين هذه الروايات الحديثية، وذلك للوصول إلي الرأي الراجح في هذه المسألة، وما يتعلق بها عند أئمة الحديث النبوي.

Abstract:

This study attempts to explain the paths of the imams in resolving the problem between the hadith narrations regarding the dyeing of the Prophet, may God bless him and grant him peace, which is dyeing and coloring the hair red, and is usually done by those who have a lot of gray hair. The study aimed to clarify the meaning of the dye mentioned in the hadiths of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and to discuss the method. Imams in resolving the ambiguity between these hadith narrations, in order to reach the most correct opinion on this issue and what is related to it according to the imams of the Prophet's hadith.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد – ﷺ-... خير من وطئ الثرى، وصلّى عليه الورى، المصطفى على الناس برسالة المولى، وتكريمه وآلائه، المبعوث رحمة للثقلين، وخيراً لهم أجمعين، قال تعالى:" **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**"(١).

محمد – ﷺ-... نبي ترعاه عين الله، ويصلّي عليه وملائكته، وتحوطه عنايته اللطيفة، فشرح صدره، ووضع عنه وزره، وأعلى قدره، ورفع ذكره، وأقسم بعمره، ونصر دينه، وقهر عدوه، وطهّر أصله وأهله، وربّاه التربية المثلى، وغرس فيه الأدب الجمّ ليكون القدوة الحسنة للمؤمنين، والنموذج المحتذى إلى يوم الدين:" **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**"(٢) ثم شهد له في كتابه الحكيم بسمو أدبه، ودماثة خلقه، بقوله:" **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**"(٣) .

(*) أستاذ مساعد الحديث النبوي الشريف وعلومه بجامعة الجوف- كلية الشريعة والقانون قسم الدراسات الإسلامية.

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣)سورة الأحزاب: ٢١.

٣)سورة القلم الآية : ٤.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤م

فكانت شمائله العطرة، ومآثره المجيدة ترجمة عملية لآداب القرآن، وأخلاق الإسلام التي ما فتئ يدعو إليها منذ انهمرت عليه آيات التنزيل الحكيم، وخاطبه ربه تبارك وتعالى بما شرفه من مقام النبوة؛ ليؤدي مهام البشارة والنذارة للرسالة الخاتمة، والدين القيم إلى الناس كافة:" **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا "(١)، وقال وتعالى :" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** "(٢).

وإن من أهم العلوم التي حفظت للسنة مكانتها ودافعت عنها ورفعت عنها شبهة التعارض والتناقض علم مختلف الحديث الذي قام به علماء أكفاء بينوا معاني ما أشكل من السنة، وجمعوا بين الأحاديث التي يوهم ظاهرها التعارض، فالأدلة الشرعية لا يمكن أن يكون فيها تعارض فهي من لدن حكيم عليم.

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلي ما يلي:

١ ــ أهمية علم مختلف الحديث في الدفاع عن السنة النبوية، وبيان أنه لا تعارض فيها.

٢ ــ درء ما ظاهره التعارض في الأحاديث النبوية والتوفيق بين هذه الأحاديث بالجمع بينها، أو سلوك المرجحات الأخرى النسخ أو الترجيح.

٣. محاولة بيان مسلك الأئمة في دفع التعارض بين أحاديث شمائل النبي ﷺ والتي وردت فيها الكثير من الأحاديث والروايات على درجة واحدة من الصحة.

فمن هذا المنطلق تناولت إحدى هذه الشمائل، وهي مسألة خضاب النبي ــ ﷺ ــ وما ورد فيها من أحاديث مختلفة، مع بيان وجه الاختلاف، وأقوال العلماء في هذا الاختلاف.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراســــــــة إلى ما يلي:

١. بيان معنى الخضاب الذي ورد في أحاديث النبي ــ ﷺ ــ.

٢. مناقشة مسلك الأئمة في دفع الإشكال بين هذه الروايات الحديثية.

٣. توجيه الحكم الفقهي الوارد في هذه المسألة.

٤. الوقوف على الأرجح في هذه السنة الفعلية الواردة عن النبي ــ ﷺ ــ.

---

١ سورة الأحزاب الآية ٤٥: ٤٧.

٢ سورة سبأ الآية ٢٨ .

إشكالية الدراسة:

الوقوف على الروايات التي ظاهرها التعارض والتي بينت خضاب النبي ــ ﷺ ــ أو خالفت ذلك، لأن الروايات جاءت مختلفة في هذا السياق.

منهجية البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي من خلال الخطوات الإجرائية التالية:

١ــ الاقتصار في تخريج الأحاديث على الصحيحين، إلا إذا دعت الحاجة، مع بيان الحكم الفقهي في غيرهما.

٢ ــ تناولت المسألة ببيان الأحاديث الواردة على اختلافها، ثم بيان أقوال العلماء والمسالك التي سلكوها لدفع هذا الاختلاف.

٣. مناقشة أقوال الأئمة والعلماء حول هذه المسألة للوقوف على الرأي الراجح من خلال الأدلة التي اعتمدوا عليها.

٤ــ أعرف للأعلام الوارد ذكرهم في البحث.

٥ ــ أعزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية.

٦ ــ أبين معاني المفردات الغريبة الواردة في الأحاديث.

٧ ــ وذيلت المبحث بخاتمة وضحت فيها أهم النتائج في هذا البحث.

خطة البحث:

اشتملت الخطة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب على النحو التالي:

المقدمة: وبينت فيها أسباب الدارسة، وأهدافها، وإشكاليتها، ومنهجها، وخطتها.

ثم جاءت الدراسة التي تبحث في المسألة على النحو التالي:

التمهيد: حول بيان مفهوم الخضاب.

مبحث المسألة: الأجوبة عن ما ظاهره التعارض في خضاب النبي (ﷺ)

اشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سياق الأحاديث الواردة في الاختلاف.

المطلب الثاني: بيان أوجه الإشكال بين الروايات.

المطلب الثالث: أقوال العلماء في هذا الاختلاف، والمسالك التي سلكوها لدفع هذا الاختلاف.

ثم جاءت الخاتمة واحتوت على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات المعتبرة.

ثم قائمة المصادر والمراجع.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤م

التمهيد

حول بيان مفهوم الخضاب

الخضاب لغة:

من الفعل خضب، والخضاب ما يخضب به من حناء وكتم ونحوه، وقيل منها الخضاب بالسواد، وفي الصحاح الخضاب ما يختضب به، واختضب بالحناء ونحوه، وخضب الشيء يخضبه خضبا، و خضبه غير لونه بحمرة أو صفرة أو غيرهما(١).

ويقال: اختضب الرجل واختضبت المرأة من غير ذكر الشعر، وكل ما غير لونه فهو مخضوب وخضيب، يقال: كف خضيب، وامرأة خضيب، والجمع، خصب. والخصبة، مثال الهُمَزَة: المرأة الكثيرة الاختضاب، والخاضبُ: هو الظَّلِيم الذي اغتلم فاحمرت ساقاه، والجمع خواضب.

وخَضَبَ النخل خضباً: اخضر طلعه، وخضبت الأرض خضباً: طلع نباتها واخضر، والخضب: الجديد من النبات يصيبه المطر فيخضر، والخضوب: النبت الذي يصيبه المطر فيخضب ما يخرج من البطن(٢).

في القاموس: الخضاب ككتاب ما يختضب به أي يلون به، وفي الشروح أن الخضاب كالخضب بالفتح مصدر بمعنى التلوين، ولا يخفى أن هذا أنسب بالباب; لأن معظمه في هذا المعنى، وإنما جاء حديث واحد يناسب الأول مع أنه من لازم ذلك المعنى، فقول ابن حجر: إن جعله مصدرا بعيد في غاية من البعد(٣).

ومن هنا يتضح أن المعنى المعتبر في معنى الخضاب هو تغيير اللون، وتغييره إلى هيئة أخرى، أو تلوينه وتغييره ورجوعه إلى طبيعته، لأن ما يختضب به هو ما يغير اللون به، وكل ما غير لونه فهو مخضوب وخضيب، هذا المعنى في اللغة الذي ينطلق منه المعنى الاصطلاحي عند الأئمة.

الخضاب شرعا:

لا يخرج المعنى الشرعي عن المعنى اللغوي، وقد ذكر بعض العلماء بأن العلة في شرعية الخضاب – تغيير الشيب – هي مخالفة اليهود والنصارى حيث جاء عن المصطفى في الصحيحين وغيرهما الأمر بتغير الشيب مخالفة لهم، وبهذا يتأكد استحباب الخضاب، و قد كان يبالغ في مخالفة أهل الكتاب، ويأمر بها وإن قيل ثبت أنه كان يوافق أهل الكتاب ما لم ينزل عليه شيء بخلافه(٤).

---

(٢) انظر: الصحاح في اللغة، ١٥٧/١، لسان العرب ٣٥٧/١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٦٨/٨، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ١٤٧٥.

٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ١٤٧٥، انظر: جمع الوسائل في أحاديث الشمائل، الملأ علي القاريء، ١/ ١١٩.

(١)انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، والشئون الإسلامية الكويتية، دار الندوة، مصر، ط١، ١٤١٤ه، ٢٧٧/٢.

أما في الاستعمال الفقهي، فقد غلب على فقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة استعمال لفظ الخضاب للدلالة على تغيير لون الشعر أو اليدين والرجلين، أما فقهاء المالكية، فقد استعملوا لفظ الصبغ أكثر من لفظ الخضاب[١].

المطلب الأول

الأحاديث الواردة في هذه المسألة

أولا: أحاديث نفي خضاب النبيﷺ :

- سئل أنس بن مالكﷺ عن خضاب النبي ﷺ، فقال: لو شئت أن أعد شمطات[٢] كن في رأسه فعلت، وقال: لم يختضب، وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم[٣]، واختضب عمر بالحناء بحتا[٤].
- ما روي عن محمد بن سيرين قال: سألت أنساً أخضب النبي ﷺ ؟قال: لم يبلغ الشيب إلا قليلا"[٥].
- ما روي عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال: سئل أنس عن خضاب النبي ﷺ فقال:" إنه لم يبلغ ما يخضب لو شئت أن أعد شمطاته في لحيته"[٦].
- وفي رواية أخرى عن أنس أنه قال:" إن رسول الله ﷺ لم يكن رأى الشيب إلا، قال ابن إدريس كأنه يقلله، وقد خضب أبو بكر وعمر بالحناء والكتم"[٧].
- وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله ﷺ يكره عشر خصال وذكر منها تغيير الشيب"[٨].

---

(٢) انظر: الدر المختار، الحصفكي، ٤٢٢/٦، المغنى، ابن قدامة، ١٠٥/١، القوانيين الفقهية، ابن جزي، ٢٩٣/١.

(٣) الشمطات: الشعرات البيض التي كانت في شعر رأسه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤٥/٥.

(٤)نبات يصبغ به الشعر يكسر بياضه أو حمرته إلي الدهمة، الديباج المذهب، ٣٣٣/٥.

(٥)أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب(٣٥١/١٠،ح:٥٨٩٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب شيبة النبي ﷺ (٤/ ١٨٢١،ح: ٢٣٤١).

(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" (كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ (٤ / ١٨٨)(ح ٣٥٥٠) (بنحوه)،(كتاب اللباس ، باب ما يذكر في الشيب (٧ / ١٦٠)(ح٥٨٩٤) (بهذا اللفظ).

(٧) أخرجه البخاري في "صحيحه"(كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم)(٤ / ١٨٨)(ح٣٥٥٠)(من غير ذكر هذا اللفظ.)، و(كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب)(٧ / ١٦٠)(ح ٥٩٨٤) (من غير ذكر هذا اللفظ).

(٨) أخرجه البخاري في "صحيحه"(كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ،(١٨٨/٤)(ح٣٥٥٠)(من غير ذكر هذا اللفظ) .

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه"(كتاب اللباس، كان نبي الله يكره عشرة خصال)(١٩٥/٤) (ح٧٥١١)(بهذا اللفظ)، والحديث صحيح الإسناد، كما جاء في عمدة القارئ، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري:(٢٠ / ٢٩) .

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤م

ثانيا: أحاديث إثبات خضاب النبيﷺ:

_ عن عثمان بن موهب قال: دخلت على أم سلمة، فأخرجت إلينا شعرا من شعر النبيﷺ مخضوبا(١).

_ عن عبيد الله بن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر: يا أبا عبدالرحمن رأيتك تصنع أربعا لو أر أحدا من أصحابك يصنعها، قال: وماهي يا أبا جريج؟ قال: رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانين، ورأيتك تلبس النعال السبتية، ورأيتك تصبغ بالصفرة، ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال، ولم تهل أنت حتى كان يوم التروية، قال عبدالله: أما الأركان فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانين، وأما النعال السبتية فإني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها، فأنا أحب أن ألبسها، وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها، وأما الإهلال فإني لم أر رسول اللهﷺ يهل حتى تنبعث به راحلته(٢).

ـــــ عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ كان يلبس النعال السبتية، ويصفر لحيته بالورس والزعفران "(٣).

ـــــ وعن ابن عمر ﷺ أنه كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى تمتلئ ثيابه بالصفرة، فقيل له: لم تصبغ بالصفرة؟ فقال: إني رأيت النبي ﷺ يصبغ بها، ولم يكن أحب إليه منها وكان يصبغ بها ثيابه حتى عمامته"(٤).

ـــــ وعن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: دخلنا على أم سلمة، فأخرجت إلينا من شعر النبي ﷺ فإذا هو مخضوب بالحناء والكتم"(٥).

ـــــ وعن الجهدمة امرأة بشير بن الخصاصية قالت:" أنا رأيت رسول الله ﷺ يخرج من بيته ينفض رأسه، وقد اغتسل وبرأسه ردع من حناء أو قال" (٦).

ـــــ وعن انس رضي الله عنه قال رأيت شعر رسول الله ﷺ مخضوبا(٧).

ـــــ وعن أبي رمثة – رضي الله عنه – قال:" كان النبي ﷺ يخضب بالحناء والكتم وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه"، وفي رواية أخرى عنه:" أتيت النبي ﷺ مع أبي وله لمة بها ردع من

---

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب(١٠/ ٣٥٢، ح ٥٨٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين في النعلين، ولا يمسح على النعلين(١/٢٦٧، ح ١٦٦)، ومسلم في كتاب الحج، باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة(١/٨٤٤،ح ١١٨٧).

(٤) أخرجه البخاري في" صحيحه"(كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين) ١ / ٤٤)(ح١٦٦) (بمعناه مطولا).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه"(كتاب الوضوء، باب غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين) (١ / ٤٤)(ح١٦٦)(بنحوه مطولا.).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"(كتاب المناسك، باب استحباب تقليم الأظفار مع حلق الرأس) (٤ / ٥٠٩)(ح٢٩٣١) (بهذا اللفظ).

(٧) أخرجه الترمذي في "الشمائل"(باب ما جاء في خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)(١/ ٥٦)(ح٤٧)(بهذا اللفظ) والطبراني في "الكبير"(مسند النساء، جهدمة امرأة بشير بن الخصاصية) (٢٤ / ٢٠٨)(ح٥٣٣)(بنحوه مختصرا)، فهذا الحديث روي من طريق إياد بن لقيط عن الجهدمة امرأة بشير بن الخصاصية.

(٨) أخرجه البخاري في" صحيحه(كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب)(٧/١٦٠)(ح٥٨٩٦) (بنحوه مطولا).

حناء" وفي رواية أخرى:" أتيت رسول الله ﷺ مع ابن لي، فقال: ابنك؟ قلت نعم أشهد به، فقال: لا تجني عليه ولا يجني عليك ورأيت الشيب أحمر"(١).

المطلب الثاني

بيان أوجه الإشكال بين الروايات.

ورد عن أنس بن مالك، وعبد الله بن مسعود ﷺ أنهما نفيا أن النبي ﷺ كان يخضب شعره، وأنه ﷺ لم يكن الشيب قد بلغ إلى حد يحتاج معه إلى الخضاب، وقد خالف أنس غيره من الصحابة، كما جاء عن ابن عمرﷺ أنه رآه يصبغ بالصّفرة، ورأى عثمان بن عبد اللهﷺ شعر النبي ﷺ مخضوبا عند أم سلمة رضي الله عنها، وأيد ذلك رواية الحديث عن الجهدمة امرأة بشير بن الخصاصية.

أوجه الإشكال الظاهر بين الروايات الحديثية يرتبط بما يلي:

الوجه الأول:

الاختلاف حول حديث أنس الثابت الصحيح حيث قال: لم يخضب النبي ﷺ، وقد شهد الكثير من الصحابة غير أنس عن النبي ﷺ أنه خضب، وليس من شهد على نفس منزلة مالم يشهد.

الوجه الثاني:

قال ابن كثير: ونفى أنس للخضاب معارض بما تقدم من غيره من إثباته والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفي؛ لأن المثبت معه زيادة علم ليست عند النافي(٢).

الوجه الثالث:

الاختلاف في الروايات الحديثة المشكلة لأن البعض نفى تماما قضية خضاب النبي ﷺ، والبعض أورد عن النبي ﷺ خضب لوجود بعض الشعيرات القليلة التي كانت بها شيب، حتى أن البعض عد ذلك كنوع من المخالفة لما كان عليه اليهود والنصارى.

---

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على "مسند أحمد"(مسند الشاميين رضي الله عنهم ، حديث أبي رمثة التميمي ويقال التيمي رضي الله عنه)(٧ / ٣٨٩٨)(ح١٧٧٦٩)(بهذا اللفظ)، و(مسند الشاميين رضي الله عنهم ، حديث أبي رمثة التميمي ويقال التيمي رضي الله عنه)(٧ / ٣٨٩٨) (ح١٧٧٧٢)(بلفظه) والطبراني في" الكبير"(باب الياء ، يثربي بن عوف أبو رمثة التيمي) (٢٢ / ٢٨٤)(ح٧٢٦) (بنحوه)، فهذا الحديث روي من طريق إياد بن لقيط عن أبي رمثة.

(١) الشمائل، ابن كثير، ٤٣٤/٣.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤م

المطلب الثالث

أقوال العلماء في هذا الاختلاف، والمسالك التي سلكوها لدفع هذا الاختلاف.

دفع العلماء الاختلاف بين هذه الأحاديث بعدة أجوبة، حيث سلكوا فيها مسلكين:

المسلك الأول: الجمع بين الأحاديث.

المسلك الثاني: الترجيح بين الأحاديث

المسلك الأول:

الجمع بين الأحاديث

ارتبطت علة الجمع بين الروايات لأن النبي كان كثيرا ما يتطلب فلعل هذه الطيب هو ما أحدث له تغيير اللون لأن السواد كان ضعيفا في شعره فالخضاب هنا لتليين الشعر من ناحية وتحسينه من ناحية أخرى، أشار إلي ذلك القاضي عياض، وابن حجر، والجوهري.

وفيما يلي عرض أقوال الأئمة حول هذه المسألة.

وقال فيه القاضي عياض رحمه الله[١].

جَمع بعضهم بين هذا الاختلاف... ذلك أنه كان ﷺ كثيرا ما يستعمل الطيب؛ وهو يغير لون الشعر ويزيل سواده، ويُعجل فيه الشيب لمن أدامه، لا سيما بعض أنواعه مثل الكافور، فأشار أنس أن تغيير ذلك ليس بصبغ، وإنما هو ضعف لون سواد شعره من أجل الطّيب.

وقيل: قد يكون خضابه ليس لأجل الشّيب، لكن لتليين الشعر وتحسينه، لا لتغيير الشيب فيه، فمن نفى الخضاب أراد الذي هو الصبغ للشيب، ومن أثبته فمعناه ما ذكرناه، ويُحتمل أن تلك الشعرات تغيرت بعد موته لكثرة تطييب أم سلمة لها إكراما لها[٢].

وقال الحافظ ابن حجر[٣]: والجمع بينه حديث ابن عمر وبين حديث أنس أن يحمل نفي أنس على غلبة الشّيب حتى يحتاج إلى خضابه، ولم يتفق أنه رآه وهو مخضب، ويحمل حديث من أثبت الخضب على أنه فعله لإرادة بيان الجواز، ولم يواظب عليه[٤].

وقال الجوهري[٥]: اختلف في خضابه فمنعه الأكثرون منهم أنس، وأثبته بعضهم لحديث أم سلمة وابن عمر، وجمع بينهما بأن ذلك كان طيبا فظنه من رآه صبغا[٦].

١() هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، شيخ الإسلام، يكنى بأبي الفضل، كان إماما في علوم كثيرة كالفقه واللغة والحديث، انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٨٦).

٢() انظر: إكمال المعلم(٧/ ٣٠٩).

٣() هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، كان فصيح اللسان، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، من مصنفاته: تقريب التهذيب، تعريف أهل التقديس، وغيرها. نظر: الأعلام(١/ ١١٢)

٤() انظر: فتح الباري(٦/ ٥٧٢).

٥() هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، أصله من فاراب، قال عنه ياقوت الحموي: كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما. انظر: موسوعة الأعلام (٧/ ٤٥٦).

٦() انظر: عمدة القارئ(٢٢/٤٨).

المسلك الثاني:

الترجيح بين الأحاديث

دارت ترجيحات الأئمة في روايات حول قضية المشاهدة ومعرفة فعل النبي ﷺ فقالوا أن النبي خضب ولم يكن شيبه ظاهرا مثلا، وحمل البعض أن النبي ﷺ صَبَغ في وقت وتركه في معظم الأوقات، قال بالترجيح في مسألة الخضاب بين الروايات الإمام القرطبي، والنووي، تابعهم الإمام ابن كثير والإمام أحمد، وفيما يلي عرض هذه الأقوال:

اختار القرطبي[١] – بعد أن ذكر عدة احتمالات ذكر بعضها القاضي – أن النبيﷺ كان يَخضِب، ولكنه لم يكن ظاهراً، فقال: وأولى من هذا أن يقال: إنه لما لم يكن شيبه كثيرا؛ وإنما كان في لحيته وصدغيه نحو العشرين شعرة بيضا، لم يكن الخضاب يظهر فيها غالبا[٢].

وحمل النووي[٣] الاختلاف على اختلاف الأحوال، فصبغ في وقت، وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كُل بما رأى، فقال بعد أن نقل كلام القاضي عياض: والمختار أنه ﷺ صَبَغ في وقت وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى وهو صادق، وهذا التأويل كالمتعين، فحديث ابن عمر في الصحيحين، ولا يمكن تركه، ولا تأويل له[٤]

وقال ابن كثير[٥]: ونفي أنس للخضاب معارض بما تقدم من غيره من إثباته، والقاعدة المقررة أن الإثبات مقدم على النفي، لأن المثبت معه زيادة علم ليست عند النافي[٦].

وقدم الإمام أحمد[٧] قول من أثبت الخضاب على من نفاه فقال: قد شهد به غير أنسرضي الله عنه على النبيﷺ أنه خضب، وليس من شهد بمنزلة من لم يشهد[٨].

١() هو شيخ الإسلام أبو عبدالرحمن الأندلسي القرطبي، صاحب التفسير والمسند، كان إماما مجتهدا رأسا في العلم والعمل. انظر: سير أعلام النبلاء(١٣/ ٢٨٦).

٢() انظر: المفهم(١٣٢/٦).

٣() هو محيي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف بن مري الشافعي، صاحب التصانيف النافعة، منها شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، الإرشاد، انظر: تذكرة الحفاظ، ١٤٧٠/٤.

٤() انظر: المنهاج(١٥/ ٩٥).

٥() هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي الدمشقي، محدث ومفسر وفقيه، له البداية والنهاية، وطبقات الشافعية وغيرها. انظر: الدرر الكامنة(١/ ٣٧٣)، شذرات الذهب(٦/ ٢٣١)،المنهل الصافي (٢ / ٤١٤).

٦() انظر: شمائل رسول الله،(٢٢)

٧() هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، أحد الأئمة الأعلام، ولد في بغداد، من مؤلفاته العلل، والناسخ والمنسوخ. انظر: سير أعلام النبلاء(١١/١٧٨).

٨() انظر: زاد المعاد(٣٦٧/٤).

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤م

الخلاصة

بعد جمع الأحاديث في مسألة خضاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وبيان أقوال العلماء في هذه المسألة، والمسالك التي سلكها العلماء لدفع هذا الاختلاف حيث سلكوا فيها مسلكين، مسلك الجمع بين الأحاديث، ومسلك الترجيح بينها، فالرواية الراجحة رواية الإثبات على النفي، وهما روايتا ابن عمر وعثمان بن عمر، وذلك من باب تقديم الإثبات على النفي، لأن المثبت عنده زيادة علم على النافي، وأيضا لاجتماع الأحاديث على ذلك، كما تقدم من أقوال العلماء .

والله تعالى أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، المحمود أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، فله الحمد على ما يسر من إتمام هذا البحث، وأعان ووفق على دراسة مسألة الاختلاف في خضاب النبيﷺ . ومن أهم النتائج التي توصلت إليها:

١ ــ مكانة السنة النبوية، وما حظيت به أوصاف النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشمائله من العناية التامة.

٢ ــ المسالك التي سلكها العلماء لدفع الاختلاف في مسألة خضاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم، وترجيح أحاديث الإثبات على النفي.

٣. يتعين معرفة طرائق الترجيح بين الروايات ففي مرويات وأحاديث الخضاب اختلفت الأقوال بين الجمع والترجيح في الأحاديث كل فريق كان له وجوه في مسلكه لدفع الإشكال، ناقشت الدراسة هذه الوجوه وبينت أن الترجيح في المسألة مقدم على الجمع.

وفي الختام أسأل الله أن يهدينا بفضله وكرمه لمحامد الأخلاق وأن نكون ممن جاور رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأحبهم، وأن ينفعنا بهذا العلم، وصلى الله وسلم على نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

١- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ابن بلبان، تحقيق الأرنؤوط، ط١، ١٤٠٨هـ، الرسالة، بيروت، لبنان.

٢- الإصابة، ابن حجر، ط ١، سنة ١٣٢٨ هـ، مطبعة السعادة، مصر.

٣- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، دار الشروق، مصر.

٤- إكمال المعلم بفوائد مسلم، لعياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء _ مصر_، ط١، ١٤١٩ه.

٥- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١ ،١٩٦٦م.

٦- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

٧- تذكرة الحفاظ، لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٨- تعريف أهل التقديس ابن حجر، تحقيق أحمد علي، ط١، سنة ١٤١٣هـ، الرياض، السعودية.

٩- التقريب، ابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، ط١، ١٤١١ هـ، مكتبة الرشيد سوريا.

١٠- التمهيد ابن عبد البر، تحقيق جماعة من العلماء، ط٢، ١٤٠٢هـ، الأوقاف المغربية، المغرب.

١١- تهذيب التهذيب، ابن حجر، ط١، ١٣٢١ هـ، دائرة المعارف العثمانية، ط١، مصر.

١٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد، حيدر آباد، تركيا، ط١، ١٣٩٢ه.

١٣- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، موقع الوراق، مصر، ط١، ١٤١٠ه.

١٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١٣، ١٩٨٦م.

١٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ط٤، ١٣٩٨هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١.

١٦- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي، مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ه.

١٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٤٢٣ه.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤م

١٨- شرح العلل ابن رجب، تحقيق: همام عبد الرحيم، ط ١، سنة ١٤٠٧هـ، المنار، الأردن، ط١، ١٩٩٦م.

١٩- شمائل الرسول، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، قسم التحقيق بشركة الندى للتجهيزات الفنية، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٠- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه.

٢١- صحيح مسلم، لمسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، ط١، ٢٠٠١م.

٢٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، بعناية فؤاد عبد الباقي، ط١، المكتبة الإسلامية – إستنبول، ١٩٩٧م.

٢٣- الطبقات ابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر، ط١، ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤- العلل، ابن أبي حاتم، ط١، ١٤٠٥هـ، تصوير دار المعرفة، بيروت.

٢٥- علوم الحديث ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الفكر، دمشق، سوريا.

٢٦- عمدة القارئ شرح صحيح بخاري، لأبي محمد محمود العيني، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٣٦ه.

٢٧- فتح الباري شرح صحيح بخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ــ بيروت، ط١، ١٣٧٩ه.

٢٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.

٢٩- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، لابن تغري بردي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٧م.

٣٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.